ما يسمونه الحب

اود كثيراً أن اطيل رسائلي اليك . لو استطعت لجعلت اليوم خمساً وعشرين ساعة وانفقته في مناجاتك عن بعد . كم انا اغار من رسائلي لأنها تستطيع الوصول اليك واما انا فكالطير المقصوص الجناح

بقلم
(سليم عبد الاحد)

حبيبتك حتى الموت
دورثي

غرائب اميركا

أمدنية أم ماذا ؟

لقينا فى هـذه الايام اديباً من ادباء الشرق اقام سنوات طويلة فى البلاد الاميركية يخدم فيها الصحافة العربية ، فرغبنا اليه فى أن يحدث قراء « الزهور » عن مدنية العالم الجديد فكتب الينا الفصل التالى ولعله يتابع هـذا البحث فى اعداد قادمة :

تُشرف على بلد عظيم فلا تقع عيناك الاّ على قصور شائقة وصروح فخمة ورؤوس اشجار في غابات ورياض فتخاله ، وانت بعيد عنه ، الفردوس المفقود . فاذا نزلته وأمعنت في انحائه مطوّفاً في زواياه تجلّت لك الحقيقة وعرفت ان ما يتراءى لك عن بعد لأشبه شيء بالملابس الجديدة تستر داميات القروح

كذلك اميركا ، والولايات المتحدة أعظمها شأناً وأعرقها مدنية وفي ما اسطّره الآن عن تلك الجنة الموهومة « تقرير » عن حالتيها المدنية

والاجتماعية ، ادفعه الى قراء هـذه المجلة بسيط العبارة خالياً من كل ما يغق به الكتّاب مقالاتهم من زخرفة في الكلام وابداع في الافكار ملتزماً فيه شروط « التقرير » فلا ينتظرنّ القارئ مني سوى ذلك في مثل هذا البيان

قد يكون غيري سبقني الى طرق هذا الباب الاّ انني على يقين انه اقتصر في البحث على أحسن الوجهين لأحد أمرين : إما ليقال انه عاشر علية القوم ووقف على مدنيتهم ورقيهم ، فيلصق بذهن القارئ ان الكاتب اصبح ارقى منه قبلاً وربما كان أرقى من القارئ ايضاً وهـذا أجل عنه الاديب ؛ واما لكي يوقف قومه على مبلغ الفرق بينهم وبين من هم أرسخ منهم قدماً في المدنية مؤملاً ان وراء ما يسطره لهم مدرجة الى اصلاح الحال . وهذا ما ينزع اليه بعض الكتّاب . اما كاتب هذه السطور فلم يرَ « لسوء حظه » ما يدعى مدنية حقيقية في تلك الاصقاع القصية وكل ما رآه طلاء خارجي ناصع ينطوي تحته ما ينطوي تحت طلاء القبور

* * *

اذا كان المقصود من المدنية وفرة المتمثلات والملاهي وكثرة المراقص والملاعب وتسهيل اسباب المعيشة وتكثير موارد الارتزاق لمريدي العمل ونهضة في العقول والهمم وغزارة في العلم ، كانت الولايات المتحدة اعظم الامم شأناً واعلاها منزلة في معارج المدنية . اما وقد شاء واضعو مفردات اللغات أن يكون بين ما يضعونه كلمات مثل الخلاعة واللهو والقصف

والزهو والمفسدة ثم التجارة والصناعة والزراعة والمعارف والفنون وما شاكلها ، كان لكلمة المدنية او التمدن معنى محصور لا يتجاوز مفهومه دائرة الاخلاق وآداب الاجتماع ، وكانت الولايات المتحدة بهذا المعنى أحط من اكثر بلدان العالم ومساوية للبعض الآخر الاقل . واذا شاء احد ان يرد قائلاً ان المتمثَّلات وما يجانسها لمن مظاهر المدنية وأدلة الرقي قلنا نعم ولكن اذا روعيت فيها شروط وضعها لا حسب مصيرها . أما وهي في هذه الحالة فهي هاوية تسترها أزهار وتغشاها رياحين

ما انا معترض على المتمثَّلات بعينها وأخص منها الشرقية التي لاتزال الحشمة تلازمها فلا تضيع الفائدة المقصودة من التمثيل ، وانما اشجب تلك المتمثلات الاميركية وما تدرَّجت اليهِ مما يستظهر بهِ الضعف الانساني على ارادة صاحبهِ . وكلكم يعلم ان ارادة المرء موكولة الى ما يحيط بها من العوامل الخارجية فهي كقطعة من الحديد تدور بها قطع من المغنطيس فتنجذب الى أقواها فعلاً عليها

ومن الغريب المدهش ان كل ما يجري فيها متسامح بهِ ولو بدت منهُ أقل حركة وانزه اشارة في مجتمع لاستوجب فاعلها الرجم . وهذا أشبه شيءٍ ببعض الحكومات التي تمنع الميسر في بلادها من وجه وتجيزه وتحللهُ من وجوه ، كأن المقام والاسم اذا اختلفا تختلف بهما الحقيقة والجوهر

من مذلاَّت الفتاة الاميركية بين بنات جنسها ، ومن دواعي حزنها العميق ان لا تكون حبيبة الى كل القلوب . تبيحُ لها الحقوق الشرعية

والشرائع البيتية ان تستهوي كل من راقــ منظره في عينها وكثيراً ما تجتمع لديها عشرات القلوب فتتناوب الاجتماع مع اصحابهـا تؤنس منهم قوماً وتوحش آخرين وهي ما دامت عزبةً غير مسؤولة عما تفعله . وقلمـا تلق فتاة لم تتجاوز المدى في الهوى وما ذلك عندهم بالامر المـكروه بل ان التي لا تتبع هذا الصراط السـوي كانت من الضالات المغضوب عليهنّ اللواتي لا نصيب لهنّ من الحياة على احدث الأزياء

وتظل « ملكة القلوب » على هذا النمط الى ان تتزوج بمن يحلو لها من عشاقها الـكثيرين وللاستحلاء امور جمة لا اظنها تخفى على قارىء

واذا تزوجت هذه الفتاة تابت الى ربهـا ، مبقية لنفسها حقوق الامانة وعدمها وفقاً لمراعاة زوجها هذه الحقوق فاذا خان خانت . وتلك حقوقها كما هي حقوقه ايضاً . ويقيم احدهما رقيباً على الآخر فاما ان يزلّ احدهما وهذا لا يحصى . وقلما يمرّ نهار واحد في نيويورك مثلاً ولا يسمع فيهِ أهلوها بعشر حوادث طلاق على الاقل وتلك جرائدها تنبئك اليقين

قد تشمر احدى العائلتين بما يختلج في صدر ابنها او ابنتها فتحاول الحؤول دون الزواج ، ولـكنه حؤول لا يثمر غير هرب الحبيبين فلا تمرّ عليهما ساعات الاّ وقد نزلا بلداً آخر يجريان فيهِ عقد الزواج المدني والـكنسي وما شرطهُ الاّ رضًى متبادَل بينهما من غير ما نظر الى رضى اهليهما

ولا يخالنّ القارىء ان العائلات والأسر الوجيهة الشريفة والموسرة ارفع من ان يحدث فيهـا مثل هذه الامور وانما هي اقرب لتغذية هذه

الجرثومة مما دونها بل ربما هربت الفتاة الغنية صاحبة الملايين مع الحوذي او الطاهي او من كان في منزلتهما ، وذلك كثير الحدوث

*
* *

ومن غرائب تلك البلاد اختطاف الاحداث فانهُ لا يمرّ اسبوع الاَّ وتفقد احدى العائلات طفلها اسابيع وشهوراً ، وربما عاماً او عامين غير عارفة له مقرًّا ولا سامعـة عنهُ خبراً الاَّ من مختطفيـهِ المجهولي الاقامة والاسماء في رسائل الوعيـد والتهديد باعدام الطفل اذا لم يؤدوا الفدية ومقدارها كذا ألوف ترسل بالطريقة الفلانية الى المحل الفلاني

تأخذ الرعدة من قلوب الاهلين فيتذرعون بكل وسيلة ويلتجئون الى الحكومة لمعرفة مقرّ الطفل متنازلين عن مطالبة المختطف ، قانعين برد الطفل المفقود . ولكن اين يد الحكومة لتعمل الى ما يراد ؟ واين قوتها لتقتصّ من الاثيم وهو كل يوم في واد ؟ واين سلطانها لتهتدي الى مقر الطفل ، والطفل كل يوم في يدٍ جديدة ينتقل من بيت الى آخر ومن بلاد الى بلاد

الاَّ انه مما يُشكر المختطفون لاجله هو كثرة اعتنائهم بهؤلاء الاحداث فيوفرون لهم اسباب الراحة والعيشة الرضية والانشراح فلا يبخلون عليهم بشيء . وبينهم عدد كبير من النساء المنخرطات في سلكهم لاصطياد الاطفال تارة وللاعتناء بهم طوراً

واخيراً يومَ لا يتوفق الاهل الى ايجاد طفلهم لا يرونَ وسيلة اصوب من التسليم بمطالب المختطفين فيدفعون الجزية صاغرين . ومن غرائب

امور هذه الفئة ان الفدية تدفع ودافعوها لا يعرفون مستلميها ولا مقرّهم ولا يرون لهم وجهاً . وكثيراً ما ضجت الجرائد لاستئصال هـذه الآفة الاَّ انها كالنافخ في البوق بين الاموات . . .

هذا قليل من كثير مما يجري في بلاد تكاد البلاد الاخرى تتخذها منزل آلهة التمدن الحديث . واذا قيل اين حكومتها واين بوليسها واين ما يُقال عن عدلها وقسطها ؟ قلت حكومتها موجودة ، وبوليسها موجود ، ولكنها الوحيدة بين الحكومات في العالم التي اتخذت مبدأها الوحيد توفير ثروة البلاد وجعل شعبها وامهـا وبلادها اغنى شعوب امم وبلاد العالم على الاطلاق ، والى غير هذه الوجهة لا تنظر ، منصرفة اكثر الانصراف عن بقيـة الوجوه الاخرى . واذا كان جمع المال غاية المرء عميت عيناه وبصيرته عن سائر الغايات

وعندهم ايضاً ما يعرف بتجارة الرقيق الابيض وهي تجارة ذات شركات في كثير من البلاد الاميريكية تستجلب من البلاد الاوربية كل رشيقة القد أسيلة الخد تبيعها من تجار الحسن وتبالغ في طلب الثمن المختلف لا باختلاف درجات الجمال فقط بل باختلاف الجنسية فلكل جنس عندهم ثمن معروف . والافرنسية أغلى الفتيات ثمناً وارفعهن مقاماً واكثرهنَّ رواجاً . وقد اهتمت الحكومة الاميريكية في العامين الماضيين اهتماماً مشكوراً لاصطلام هذه الآفة الاَّ انها لم تؤتَ نجاحاً يذكر ، ولا يزال مؤلّفو هذه الشركات يتابعون هـذه التجارة الرابحة .

والمدنية الحقيقية تنظر كل ذلك وتلطم خديها بيديها　　العامري